

الحذر من الأعداء

المناسبة: يوم الجيش

الزمان والمكان: 27/ذو الحجة 1419هـ - ق طهران

الحضور: جمع من قادة القوى الثلاث في جيش الجمهورية الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

يمثلّ يوم الجيش في كل سنة يوم فرح وسرور وبهجة لكل أبناء الشعب وللقوات المسلحة، وخاصة بالنسبة لجيش الجمهورية الإسلامية الباسل، إلّا أنّ هذا الفرح والسرور امتزج في هذا العام بالحزن والأسف بسبب استشهاد واحد من أفضل عناصر جيش الجمهورية الإسلامية، ألا وهو الشهيد علي صياد الشيرازي.

والدنيا حافلة بمثل هذه الأحداث، وكثيراً ما تمتزج الأفراح والأتراح مع بعضها؛ والعاقِل هو من يستقي الدروس والعبر من الأفراح ومن الأحزان على حدّ سواء، ويتلمس طريق المستقبل، ويحثّ الخطى نحوه.

لقد قطع الجيش شوطاً لا يُستهان به، والموضوع الذي أشار إليه العميد شهبازي قائد الجيش موضوع صحيح، وهو أنّ جيش الإسلام تبلور في قلب جيش الطاغوت، ولكن لا بعدد معدود أو جماعة قليلة.

صحيح إنّ عدد المجاهدين كان فيه قليلاً، إلّا أنّ عدد المؤمنين كان في غاية الكثرة، في حين كان المناهضون لمبادئ الدين والإيمان والقيم زمرة قليلة؛ هرب بعضها واعتقل البعض الآخر ولقي جزاءه، بينما جعل البعض الآخر من نفسه محوراً ثم غادر البلاد لاحقاً:

(فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)¹.

ولهذا السبب لم تبرز أيّة عقبة — بعد ظهور وسيادة القيم والإدارة الإسلامية في كل قطاعات البلاد — في مجال بناء جيش إسلامي، بل تشكّل الجيش الإسلامي على نحو تلقائي من ذاته.

التقوى وترتب الخيرات عليها

من البديهي أنّ لكل حقيقة أعداء.

¹ سورة الرعد، الآية: 17.

وأؤكد لكم أنّ من يطمع في قطع شوط الحياة على طريق معبد خالٍ من المطبّات، ولا يجابه فيه أيّ عائق أو عارض فهو في الحقيقة إنسان ساذج وسيسقط ذات يوم على رأسه ويتحطّم.

فطريق الحياة طريق عسير وحافل بالمنعطفات والعراقيل، وفيه مشاكل تزداد حجماً وخطورة مع كل خطوة يخطوها المرء باتّجاه غاياته الإلهية والإنسانية النبيلة، وقد تكون بعض تلك المشاكل أجسم ممّا عرض له في السابق، وقد يكون بعضها الآخر كسابقاتها أو أقلّ منها.

ومعنى هذا: أنّ طريق الحياة لا يخلو من المعاناة، وينبغي أن لا يرتجي المرء سبيلاً مهيعاً خالياً من المصاعب والمتاعب.

أمّا المهم بالنسبة للإنسان فهو اليقظة والفتنة وعدم إضاعة الهدف، وعدم الانحراف عن السبيل، والعزم الراسخ على بلوغ الآمال المنشودة. وهذه الخصال هي التي تسمّى في العرف الإسلامي وفي الثقافة القرآنية بـ ((التقوى)).

ولو تدبّر المرء القرآن لرأى أنّ كل الخيرات مترتبة على التقوى؛ سواء الخيرات الأخروية والمعنوية والروحية، أم الخيرات الماديّة والاجتماعية: (ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)².

والتقوى ينجم عنها استشعار حلاوة الحياة، ونيل العزّة، ويأس العدو. وهذه هي حالة المراقبة التي يتحدثون عنها.

يوجد بين منتسبي جيشنا اليوم أشخاص مخلصون، يعملون بجدّ ومثابرة في سبيل الله وبدون أيّ ضجيج، ولديهم بطبيعة الحال مصاعب معاشية ومشاكل مادية، ويجابهون بعض المصاعب في حياتهم المعاشية وفي حياتهم العملية، إلّا أنهم وعلى الرغم من كل هذه المشاكل يؤدّون واجبهم بكل اندفاع وعزم، سواء في العاصمة أم في المناطق النائية أم في تكتلات تقع في مناطق وعرة مقفرة في أقاصي البلاد؛ لدينا في الجيش أشخاص كثيرون من هذا القبيل، وكان الشهيد علي صياد الشيرازي من هذا النوع أيضاً.

عرفت الشهيد الشيرازي منذ الأيام الأولى لانتصار الثورة؛ حيث كان يأتي إلينا من أصفهان ويُقدّم لنا تقارير عن الأوضاع هناك، ويطلب منّا الدعم والعون؛ ثم ذهب بعد ذلك إلى إقليم كردستان، وكان له نشاطه أيضاً في فترة الحرب المفروضة. أمّا نشاطه في فترة ما بعد الحرب فمعروف للجميع.

² سورة الأعراف، الآية: 96.

وقد لا حظتم كيف احتشد أبناء هذا الشعب كباراً وصغاراً ونساءً وشباباً إجلالاً
لجثمان هذا الشهيد، وكانت مراسيم تشييعه من جملة مراسيم التشييع النادرة التي أقيمت
في عهد الثورة، وهذا كله إنما جاء بسبب ما كان يتّصف به من إخلاص ونقاء.
فالله تعالى يهدي القلوب إلى ما يشاء.

ونحن في الحقيقة بحاجة إلى مثل هؤلاء الأشخاص، ولدينا اليوم — والحمد لله —
منهم عدد كبير.

الحذر من محاولات الأعداء لتجريد الشعب من إيمانه وتقواه

إحذروا عدوكم؛ إذ إنّ من جملة ما يتّصف به الجيش هو الحذر من العدو؛ لأنه هو
الذي يضطلع بحماية حدود البلاد.

فالاحتراس من العدو إذاً ليس صفة غريبة عن الجيش.

عليكم يا أبناء الجيش الأعزّاء الاحتراس من العدو؛ ليس من العدو الذي يهجم من
الحدود فحسب، بل وكذلك من العدو الذي يهاجم الثغور الداخلية لوجودنا، فيضعف
إرادتنا ويزعزع إيماننا، ويفلّ عزمنا على العمل، ويفرغ عملنا من الإخلاص والصفاء؛
وهذا هو العدو الحقيقي، فإذا قدرنا عليه ومرّغنا أنفه في الوحل فنحن على العدو
الخارجي أقدر.

ومن يُهزم في ميدان القتال لابد وأن يكون قد أصيب من قبل بهزيمة في ذاته.
ونحن إذا لم نهزم في داخل ذاتنا، فليس هنالك من عدوّ قادر على إلحاق الهزيمة بنا
من الخارج.

لو استطاعت كل جيوش العالم أن تتحلّى في ظل البريق الظاهر للجيوش — وهو
أمر ضروري طبعاً — بعزم قوي، وإيمان راسخ بهدف ما، وصبر وثبات، وثقة
بالمستقبل، لكانت كلها جيوش قوية ومتمرّسة.

ولو كان للمرء إيمان راسخ بالله كما لدى المؤمنين ولديكم أنتم، فلن يتأتّى لأية قوّة
أن تلحق به الهزيمة في أيّ ميدان كان.
لذا يجب عليكم حراسة هذه الحدود.

إنّ العدو — كما قلت — غير غافل أبداً، ويجب الاحتراز منه حتّى في أفضل
الحالات: في العلاقات الدولية، وفي القضايا العالمية، وعند تبادل أحلى الابتسامات
الدبلوماسية، وأحرّ التحيات التي يتبادلها المسؤولون والزعماء السياسيون في العالم؛ لأن
عالم السياسة والدبلوماسية والعلاقات الدولية عارٍ من الإخلاص والصدق.

إنّ أول ما يستهدفه العدو هو تجريد الشعب والبلد من عوامل القوة والاقْتدار؛ فلنرّ ما هي عوامل الاقْتدار والعزّة المتوفّرة لدى شعبنا في الوقت الحاضر؟ إنها بلا شك تتجسّد في ما لديه من إيمان، وعزم إلهي راسخ، وعمل في سبيل الله، وشعور كل مواطن بأنه جندي مجنّد لحراسة دين الله، وهذه هي العوامل التي منحت شعبنا العزّة، وصنعت وتصنع من أبنائه رجالاً كزبر الحديد ويتحلّون بالقدرة على المجابهة. ومن الطبيعي أنّ العدو يرمي إلى سلب هذه الخصائص من الشخصيات الكبيرة في هذه الدولة.

إنّ رغبة العدو في تجريد الناس من الإيمان والتقوى، ومن روح الشهامة والغيرة على الدين، ومن الأمل والعزم الراسخ، مفهومة المرامي والمقاصد، إلّا أنّ البعض ممّن قد لا يعتبرون في عداد الأعداء يأتون عن جهل وغفلة بممارسات تؤدّي إلى ذات النتيجة التي يريدها العدو، ألا وهي تجريد الجماهير من الإيمان والأمل، وبثّ اليأس في نفوسهم وزعزعة معنوياتهم. وفي إزاء هذا يجب عليكم السعي لصيانة ذاتكم وعوائلكم، ومَنْ تحت إمركم والقريبين منكم.

ولو استطاع شعب ما، أو جيش ما، أو أيّة قوّة مسلّحة، تحصين ثغورهم الداخلية قبال مثل هذا العدو، فلا تستطيع أيّة قوة أخرى التغلّب عليهم. يجب عليكم بذل جهود مستمرة ومتواصلة على هذا السبيل. والحقيقة هي أنني كنت منذ أوّل الثورة على إطلاع تام بشؤون الجيش، وهكذا دأبي أيضاً في الوقت الحاضر. وإنّي لأشهد أنّ الجيش قد تطوّر وضعه يوماً بعد يوم، ومن الواضح طبعاً أنّ فاعلية الجيش وكفاءته مرتبطة بهذا التطوّر؛ والمطلوب منكم حالياً هو التركيز على هذا الموضوع.

من الطبيعي أنّ لكل بناء ركائز؛ والجيش يجب أن يكون فيه تدريب وانضباط ودراسات وأسلحة وتطوير وبناء بالقدر الكافي؛ ومن المحتمل طبعاً أن تبرز في بعض الأحيان مصاعب ونواقص، غير أنها عابرة ولا بقاء لها. نحن بلد غني، ولكن قد تطرأ نتيجة لبعض الظروف الاستثنائية مشاكل وقتية، ناجمة عن وجود مصاعب لا يتسنّى للحكومات تذليلها.

وهكذا يجب الاعتماد على روح الإبداع والعزم والإرادة؛ لتذليل الصعوبات وتجاوز الفترات العصيبة، لبلوغ عهد أفضل، وقد أنجز — والحمد لله — مثل هذا العمل في مقاطع وفصول مهمة من فصول الثورة، وسينجز في المستقبل أيضاً.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ يَوْمَ الْجَيْشِ فِي هَذَا الْعَامِ يَوْماً مَبَارِكاً عَلَى جَيْشِ الْجُمْهُورِيَّةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ وَعَلَى عُمُومِ الْقَوَاتِ الْمُسَلَّحَةِ فِيهَا، وَأَنْ يَجْعَلَ دِمَاءَ شَهِيدِنَا الْعَزِيزِ، الَّتِي
أُرِيقَتْ ظُلْماً، سَبَباً لِّلْمَزِيدِ مِنْ رُسُخِ الْقِيَمِ وَثَبَاتِ الْإِيمَانِ وَالْعَزْمِ وَالْإِرَادَةِ، وَالسَّيْرِ عَلَى
الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ لَدَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْقَوَاتِ الْمُسَلَّحَةِ، وَأَنْ يَكْتُبَ لَكُمْ الْمَوْفَاقِيَّةَ
وَالنَّجَاحَ فِي أَدَاءِ مَهَامِّكُمْ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ